جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المرحلة: ماجستير تاريخ اسلامي

المادة: اختيارية (مصادر دراسة السيرة النبوية)

عنوان المحاضرة

((مرويات السيرة النبوية من خلال علم التفسير))

أ.م.د. مؤيد موسى أحمد

٢٠٢٤-٢٠٢٥م

مرويات السيرة النبوية من خلال علم التفسير

المقدمة

إن ظهور الإسلام كان له أثر كبير على نشأة علم التاريخ والتفسير عند العرب , فالقرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول لمصادر التشريع الإسلامي , اهتم بشكل كبير بالناحية التاريخية ووردت ضمن آياته العديد من الجوانب التي تضمنت تلك الناحية مثل التعرض إلى بيان أصل الكون , ونشأة الخلق , والأمم السالفة , وقصص الأنبياء , وما شابه ذلك من مسائل ونواحي تاريخية , ولم يكن تركيزه على مجرد سرد الأحداث والوقائع وذكرها فقط , بل لبيان العبر والدروس المستخلصة من تجارب تلك الأمم , ولكي يتفادى المسلمون الذين انزل عليهم القرآن الكريم أخطاء فيما وقع فيه السابقون .

أما تدوين الحديث والتفسير والتاريخ والسير عند المسلمون فيمكن أن نقول إن جميع هذه العلوم تدين بالفضل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نشأ التدوين لجميع هذه العلوم منذ انطلاقة بعثته وعكف المسلمون على حفظ ورواية أحاديثه وسيرته ومغازيه , واهتموا بذلك اهتماماً كبيراً لأهمية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولمكانته من نفوس المسلمين , إذ تعد أقواله وأفعاله المصدر الثاني لمصادر الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم , ومن هذا المنطلق في بيان دراسة السيرة النبوية من خلال كتب التفسير للقرون الستة الأولى من الهجرة النبوية المباركة , وتسليط الضوء على الآيات القرآنية التي اختصت بالسيرة النبوية من خلال كتب التفسير , إذ إن الآيات بحكم عدم تخصصها لا تورد تفاصيل المغازي وأحداث السيرة بشكل موسع , بل تقتصر على بعض الإشارات والتي يمكن معرفة تفاصيلها من خلال الرجوع إلى كتب السيرة والتاريخ والمغازي التي نقل عنها اصحاب كتب التفسير.

علم التفسير ومراحل تدوينه

علم التفسير لغة :

يعرف التفسير بانه الابانة وكشف المغطى واظهاره والتفسير والتأويل واحد , أو هو كشف المراد عن المشكل والتأويل رد أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر , و(الفَسر) البيان وبابه ضرب .

علم التفسير اصطلاحاً :

اطلق على علم التفسير معاني كثيرة وتعاريف جمة والفلظ اختلفت في رسمها الا انها اتحدت في معناها , ومن تلك التعاريف التي عرف بها علم التفسير بانه علم باحث عن معنى نظم القرآن , بحسب الطاقة البشرية , وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية , ومبادئه العلوم العربية , واصول الكلام , واصول الفقه , والجدال , وغير ذلك من العلوم الجمة.

أما الغرض منه : فالمعرفة معاني النظم , وفائدته : القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة , وعرف علم التفسير ايضاً بانه علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها واقاصيصها والاسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها , ومحكمها ومتشابها , وناسخها ومنسوخها , وخاصها وعامها , ومطلقها ومقيدها , ومجملها ومقصرها ,

وحلالها وحرامها , وعدها ووعيدها , وامرها ونهيها وغيرها وذكر الجرجاني في تعريف التفسير شرعاً بانه ((توضيح معنى الآية وشانها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة)).

مما تقدم يمكن القول ان علم التفسير هو علم يفهم به كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على النبي الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج احكامه وحِكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان واصول الفقه ومعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وما شابه ذلك من المسائل التي يجب معرفتها والاحاطة بها عند تناول موضوع التفسير , ولا يخفى ان لكل مفسر اسلوب خاص وتعابير ومصطلحات يطلقها على تعريف هذا العلم خاصة به وهي قد تختلف لفظاً الا انها تتفق معناً , وهو بلا شك يروم من وراء تلك الالفاظ والمعاني الوقوف على تعريف جامع وشامل لهذا العلم الذي يعد من اشرف العلوم واعظمها .

مراحل تدوين علم التفسير

نشأ علم التفسير وانطلق منذ بداية نزول الوحي بالآيات القرآنية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم اذ يعد النبي المعلم الاول الذي اخذ يعلم الناس معاني الآيات القرآنية ويفسرها ويبين دررها لأصحابه ولغيرهم من الناس , ولم تكن تلك التفاسير للآيات سوى روايات شفهية تتناقل بين الصحابة , اذ لم يكن هناك تأليفاً مستقلاً دوّن في عصر صدر الاسلام يتناول موضوع التفسير او غيره من العلوم , ومن ابرز من اشتهروا بهذا العلم ونقلوا عنهم الخلف هم : الخلفاء الاربعة (ابو بكر وعمر وعثمان وعلي) رضي الله عنهم , الذين يعدون من اوائل المفسرين ومن الطبقة الاولى بهذا العلم , لاسيما الخليفة علي رضي الله عنه الذي كان كثير ما يقول ((سلوني عن كتاب الله , فو الله ما من اية , الا وانا اعلم أبليل نزلت او نهار, ام في سهل ام في جبل))، او قوله رضي الله عنه ((والله ما نزلت اية الا وقد علمت فيم انزلت , واين انزلت , ان ربي وهب لي قلباً عقولاً , ولساناً سؤولاً)) ومن الصحابة الاخرين الذين عكفوا على هذا العلم ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان له روايات كثيرة في معاني الآيات وتفسير السور وابي بن ابي كعب الذي اهتم بتفسير وترتيب السور , وكذلك ابن عباس الذي كان يعد ترجمان القرآن وحبر الامة ورئيس المفسرين في وقته , حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له وقال ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)) , وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير رضي الله .

وكان لابن عباس مرويات كثيرة في التفسير, سواء كانت المرويات في تفسير السور والآيات التاريخية او غير ذلك , وقد اعتنى بمروياته في التفسير جمع غفير من التابعين واخذوا على تدوينها وجمعها , ولذلك وردت مروياته التفسيرية بطرق كثيرة لعل من افضلها طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي الذي روى التفسير عن ابن عباس في جزء كبير , وكذلك طريق سعيد جبير الذي سمع من ابن عباس اذ اتاه اهل الكوفة ستفتونه , يقول : أليس فيكم ابن ام الدهماء ؟ يعني سعيد بن جبير , وعن طريق ابي صالح انتقل تفسير ابن عباس ومروياته الى محمد بن سائب الكلبي الذي كان اماماً في التفسير والانساب وهكذا اخذت تلك المرويات بالاشتهار والانتشار جيل بعد جيل حتى عكف الفيروز آبادي على جمع تلك المرويات عن ابن عباس في كتاب اطلق عليه (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) , وجمع بعض المتاخرين روايات عن ابن عباس من طرقه المختلفة واطلق عليها اسم (تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير في الكتب الستة) , ثم بعد ذلك انتقلت روايات التفسير من جيل الصحابة رضي الله عنهم الى جيل التابعين والذي كان حلقة الوصل بين مرويات وتفاسير الصحابة وبين جيل تابعي التابعين ومن اشهر من وصله علم التفسير من التابعين هو الحسن البصري , الذي كانوا يقرؤن على يديه التفسير ومجاهد الذي كان يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة , واعتمد على تفسيره الامام الشافعي والبخاري وغيرهما .

ثم بعد تلك الطبقة اخذ العلماء بدراسة علم التفسير سنداً ومتناً , وعكفوا على التصنيف والتأليف , والسعي لإخراج المصنفات التفسيرية بشكل تام ومتكامل , فكتب محمد بن جرير الطبري كتابه المعروف (جامع القرآن عن تأويل آي القرآن) وهو أجّل كتب التفاسير واعظمها , فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض , والاعراب والاستنباط , فهو بفوق بذلك تفاسير الأقدمين بشكل واضح , حتى قيل: انه لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً , وقد اعتمد عليه اصحاب السير في سرد مروياتهم . ثم صنف بعد ذلك ابن ابي حاتم الرازي تفسيره المشهور والذي اعتمد عليه ايضاً اصحاب السير والتواريخ في نقل الاحداث من خلال تفسير الآيات القرآنية .

ثم لمع نجم المفسر المشهور ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي الذي كان اوحد زمانه في علم التفسير , وصنف (التفسير الكبير) الذي فاق غيره من التفاسير , ونبغ ايضاً المفسر علي بن احمد بن محمد الواحدي تلميذ الثعلبي واحد من لازم مجلسه في تحصيل التفسير , والف كتابه الرائع المسمى (اسباب النزول) , وكذلك الف وصنف (البسيط والوسيط والوجيز) وتسمى هذه الثلاث الحاوي لجميع المعاني .

وفي القرن السادس الهجري سطع نجم المفسر الحسين بن مسعود البغوي صاحب تفسير (معالم التنزيل) , وكذلك برز في ذلك القرن العلامة ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري صاحب التفسير الشهير المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل), ومن التفاسير الاخرى ايضاً (تفسير لبن الدهان) لسعيد بن مبارك النحوي , (وتفسير ينبوع الحياة) لشمس الدين ابو محمد هاشم بن محمد الصقلي وغيرهم ممن اعتنى بهذا العلم وعكف على دراسته والتاليف فيه .

ومن هنا نستنتج ان علم التفسير كان من العلوم التي اعتنى بها علماء الامة واحاطوه بعناية خاصة , حتى اننا لا نجد مرحلة من مراحل التاريخ انقطع بها التصنيف والتاليف بهذا العلم الزاخر بل نجد ان بعض العلماء اكثروا في التصنيف بهذا العلم وغاصوا على دقائقه واستخرجوا دره ومن امثلة ذلك هو ما قام به المفسر الكبير عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني الذي جمع تفسيراً كبيراً لم يرى في التفاسير اكبر منه بلغ خمس مائة مجلد منها سبع مجلدات في تفسير سورة الفاتحة , ومجلد كامل في تفسير اية واحدة وهي قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين). وبالجملة فهو كتاب جامع للفوائد كبير القدر, وعلى تلك الجهود المبذولة في مراحل القرون الستة الهجرية الاولى يمكن للمرء ان يقيس ما دونها من تصانيف وتاليف ونقل وتدوين هذا العلم الرائع في القرون التي تلت القرون والحقب التاريخية .

السور والآيات القرآنية المرتبطة بالسيرة النبوية

تضمنت بعض السور والآيات القرآنية وقائع واحداث لها صلة بالسيرة النبوية وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم , اذ تعد الآيات القرآنية احد مصادر السيرة النبوية , بل ومن اهم مصادرها , وذلك لان كثيراً من السور والآيات القرآنية تناولت مواضيع السيرة وتحدثت عنها سواء بشكل وبصورة مقتضبة او مفصلة , وبما ان القران الكريم لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه , فقد كانت تلك الآيات من اصدق المواضيع والحقائق للسيرة النبوية, ومن خلال استعراض الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية نجد انها تدور في فنون متعددة فمنها : فن في ذكر اسمائه صلى الله عليه وسلم , وفن في ذكر مولده ونشاته , وفن في ذكر خصائصه , وفن في ذكر شمائلة , وفن في مبعثه , وفن ذكر مغازيه.

وبصورة اخرى يمكن تقسيم الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة على النحو التالي :

١- آيات تتعلق بالسيرة الذاتية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم , وهي تشمل ولادته ونشاته وزواجه وعشيرته وما شابه ذلك .

٢- آيات قرانيه تتعلق بالبعثة والنبوة والرسالة , وهذه الآيات تتمثل بكر الدعوة ونزول الوحي وتبليغ الرسالة .

٣- الآيات القرآنية المتعلقة بمسائل الغزوات والحروب والسرايا والجهاد والوقائع التي تدور حول هذه المعارك .

٤- الآيات القرآنية التي تناولت خصائص النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما اختص به من خصائص دون بقية الخلق .

٥- الآيات القرآنية التي ذكرت شمائله صلى الله عليه وسلم من خلقه وادبه وعدم قوله الشعر ورحمته وعطفه وصبره وعبادته وتعامله مع الصحابة وغير المسلمين من المشركين واهل الذمة وما شابه ذلك.

ولاشك ان تلك الصور والتقسيمات الواردة في الآيات القرآنية والتي اختصت بالسيرة النبوية جاءت في الآيات بصورة مقتضبة ومختصرة , اما في كتب السير والتاريخ فقد نجدها جاءت بصورة مفصلة وموسعة مشتملة على كبائر الامور ودقائقها , ومن السور والآيات القرآنية التي تناولت مواضيع في سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي : **اسماؤه , أميته , عشيرته , عربيته , ازواجه , اهل بيته وقرابته , عمه ابو لهب وزوجته , ابوته , قصة الافك**

وهناك سور وآيات اشتملت وتناولت مواضيع البعثة والرسالة والنبوة :

اثبات الرسالة , تكذيب قريش , مطالبة المشركين الرسول بالمعجزات , اذى المشركين والمنافقين , دعوته الجن , صور الوحي وشدته , الجهر بالدعوة

كذلك اشتملت سور وآيات تناولت مواضيع الغزوات والحروب والسرايا منها:

معركة بدر , معركة احد , الاحزاب , معركة خيبر, تبوك , صلح الحديبية , الهجرة النبوية , بيعة العقبة , فتح مكة , حنين, حجة الوداع .

هذه ابرز الآيات التي وردت في الغزوات والحروب .

اما الآيات القرآنية التي تناولت الحديث عن خصائصه صلى الله عليه وسلم فهي على النحو التالي:

ذكره بالتوراة والانجيل , ايمان الانبياء به , اعطاؤه الكوثر , رفع ذكره , خاتم رسالات رب العالمين , نصره بالرعب , رسالته لكافة الامم , قصة الاسراء والمعراج , تحليل الغنائم له , تقديم الصدقة بين يدي نجواه , مغفرة جميع ذنوبه , الاستأذان بدخول بيته , ازواجه امهات المؤمنين , صلاة الله وملائكته عليه , التهجد عليه.

اما الآيات الكريمة التي اختصت بشمائله صلى الله عليه وسلم فمواضيعها كالتالي:

نوره صلى الله عليه وسلم , حياؤه , صدقه , رحمته , خلقه العظيم , شجاعته وثباته في القتال

وتعد هذه مجمل الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية والتي فصل فيها الباحثون والمؤرخون واصحاب السير واصحاب التفاسير , اثر تلك الآيات والوقائع والاحداث , فضلاً عن ذكرهم مناسبات تلك الآيات الشريفة وزمان نزولها .

نماذج لروايات السيرة النبوية من خلال كتب التفسير

اشرنا فيما سبق ان السور والآيات القرآنية تعد من اهم مصادر كتب السيرة النبوية , اذ ان جل معلومات السيرة النبوية هي مقتبسة من الآيات القرآنية واسباب نزولها , ولذلك لا يمكن على وجه اليقين احصاء جميع موارد الآيات في متن السيرة وكيفية اقتباس المصنفين منها , كما لا يمكن في الوقت ذاته احصاء الموارد المتعلقة بالسيرة النبوية من خلال كتب التفسير , وذلك لكثرتها وتشعبها , الا اننا في هذه الدراسة المقتضبة سنتناول مجموعة مهمة

ومعتمدة من كتب التفسير كان عليها المعول في ضبط رواياتها وتفسير آيات القران الكريم , فضلاً عن بيان اقتباس مصنفيها من كتب السيرة النبوية بعض الاقتباسات والمواضيع التي تختص بالسيرة والمغازي , ولعل من اشهرهم :

اولا ـ تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القران , لمحمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .

اعتمد الطبري في تفسيره على عدة رواة ممن رووا السيرة النبوية واحتج بهم , وروى في تفسيره للآيات مسائل كثيرة مختصة بالسيرة النبوية , ولعل من اشهر من اقتبس منه الطبري هم :

١- **عروة بن الزبير** , اخذ الطبري عنه روايات كثيرة تتعلق بالسيرة النبوية منها ما اورده في تفسير سورة البقرة في سرية عبدالله بن جحش , وفي سورة الانفال في معركة بدر , وفي سورة ال عمران في معركة احد , وفي سورة المائدة في قصة النجاشي , وفي سورة التوبة الرد على الجلاس بن سويد وكذلك في سورة التوبة عند الكلام على مسجد ضرار وكذلك في سورة التوبة عند الكلام على مسجد قباء , وفي سورة الحجر في استهزاء المنافقين , وفي سورة النور في قصة الافك , وفي سورة الاحزاب عند الكلام على الاحزاب , وفي سورة الشعراء في ذكر الدعوة الجهرية , وفي سورة النجم في ذكر ابتداء الوحي , وفي سورة المجادلة في ذكر قصة المجادلة , وفي سورة عبس في قصة ابن ام مكتوم , وفي سورة الضحى في ابطاء الوحي .

وتعد هذه اغلب مرويات عروة بن الزبير الواردة في تفسير الطبري والتي احتج بها الطبري واعتمدها في شرحه لتفسير الآيات .

٢- **محمد بن شهاب الزهري** , اعتمد الطبري ايضاً في تفسيره على مرويات الزهري واثبتها في تفسيره , وفصل شرح بعض الآيات معتمداً على رواياته واسانيده , واشهر اقتباسات الطبري عنه عند تفسير سورة البقرة في سرية عبدالله بن جحش , وفي سورة ال عمران عند ذكر معركة احد , وفي سورة المائدة عند ذكر النجاشي , وفي سورة الاعراف عند ذكر حنين , وفي سورة الانفال عند ذكر معركة بدر , وفي سورة التوبة في امهال المشركين , وفي سورة التوبة ايضا ذكر وقعة حنينً , وفي سورة التوبة كذلك ذكر تبوك , وفي سورة الاسراء ذكر الاسراء وفي سورة الاحزاب غزوة بني قريظة , وفي سورة الحشر ذكر بنو النضير , وفي سورة الممتحنة ذكر امتحان النساء.

هذه اشهر مرويات الامام الزهري في السيرة النبوية في تفسير الطبري.

٣- **محمد بن اسحاق المطلبي** , نقل الطبري في تفسيره روايات كثيرة عن ابن اسحاق الا انه لم يخرج له شيئاً في تفسير سورة البقرة , ولا في النساء , ولا في المائدة , ولا في الانعام , وكذلك الاعراف , ولا في الحجر والاسراء والكهف , ولا في الشعراء والفرقان ولقمان , ولا في الدخان والحجرات ولا غيرها من السور , اذ نجد بعد التتبع ان الطبري ينقل عن ابن اسحاق الروايات التاريخية المنقولة عن طريق سلمة بن الفضل الابرش وليس عن الطريق المشهور من رواية زياد البكائي , واشهر روايات ابن اسحاق في تفسير الطبري , روى عنه عند تفسير ال عمران عن معركة بدر , وفي ال عمران ايضا عن معركة احد , وفي سورة الانفال عن معركة بدر , وفي سورة التوبة في ذكر انذار المشركين , وفي سورة التوبة ايضاً في ذكر تبوك , وفي سورة النحل في ذكر خصائص النبي صلى الله عليه وسلم , وفي سورة النور في ذكر قصة الافك , وفي سورة الاحزاب عند ذكر بني قريظة , وفي سورة الطور عند ذكر كيد المشركين , وفي سورة المجادلة عند ذكر الظهار , وفي سورة الممتحنة عند ذكر امتحان النساء .

ثانيا/ تفسير ابن ابي حاتم , لعبد الرحمن بن محمد ادريس الحنظلي (ت٣٢٧هـ /٩٣٨م)

لم يختلف ابن ابي حاتم عمن سبقه من اصحاب التفاسير في ذكر المرويات التاريخية في تفسيره , فقد اقتبس هو الاخر عن اصحاب السير والمغازي , لاسيما عن عروة بن الزبير والزهري وابن اسحاق وغيرهم ممن نقل عنهم واحتج بمروياتهم , وبما اننا بينا مرويات هؤلاء الثلاثة عند تفسير الطبري فسوف نبين ايضاً المرويات عند تفسير ابي حاتم .

١- **عروة بن الزبير** , اخرج له ابن ابي حاتم الرازي في تفسيره عدة مرويات منها في تفسير سورة ال عمران في ذكر معركة احد , وفي سورة ال عمران ايضاً في ذكر حمراء الاسد , وفي سورة الانفال عند ذكر وقعة بدر , وفي سورة التوبة عند ذكر الهجرة , وفي سورة الاحزاب عند ذكر التوارث , وفي سورة المجادلة عند ذكر قصة المجادلة , وفي سورة الحشر عند ذكر بني النضير .

٢- **مرويات محمد بن شهاب الزهري** , اقتبس من مرويات الزهري ابن ابي حاتم الرازي في عدة مواضع من شرح الآيات منها في تفسير سورة ال عمران عند ذكر وقعة احد , وفي سورة الانفال عند ذكر معركة بدر , وفي سورة التوبة عند ذكر حجة الوداع , وفي سورة التوبة عند ذكر تبوك , وكذلك في التوبة عند ذكر الصلاة على المنافقين , وفي سورة النور عند ذكر قصة الافك , وفي سورة الاحزاب عند ذكر ازواجه , وفي سورة الحشر عند ذكر بني النضير.

٣- **مرويات محمد بن اسحاق** , اسند ابن ابي حاتم الرازي عدة مرويات في السيرة عن ابن اسحاق منها ما اورده في تفسير سورة البقرة في مسألة الرد على اليهود , وفي تفسير الانفال في ذكر معركة بدر , وفي سورة التوبة في ذكر تبوك , وفي سورة الممتحنة في ذكر امتحان النساء .

يتضح من خلال تفسير ابن ابي حاتم ومروياته عن ابن اسحاق انه روى جميع مرويات ابن اسحاق المتواجدة والمذكورة عند ابن هشام في سيرته التي انتقاها من ابن اسحاق , فضلاً من ان ابي حاتم اتفق في النقل من ابن اسحاق مع الطبري في نقل اغلب الطرق الواردة في سيرة ابن هشام دون رواية البكائي , بل اخذت رواياته عن طرق اخرى , والى جانب تلك الموارد نجد ان ابن ابي حاتم اغفل كثيراً من الروايات التي لها علاقة في تفسير السور وضرب عنها صفحاً ولم ينقل الا الشيء اليسير .